

مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٧٩)

وجوب التوكل وخطر التطير

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي



ح عبد العزيز عبد الله الراجحي، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الراجحي، عبد العزيز عبد الله

وجوب التوكل وخطر التطير. / عبد العزيز عبد الله الراجحي. - الرياض ١٤٤٣هـ.

٥٦ ص : ١٢×٨ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٨٠٥-١-٧

١- التوكل ٢- العقيدة الإسلامية أ. العنوان

١٤٤٣ / ٨٠٥٨

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٤٣ / ٨٠٥٨

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٨٠٥-١-٧

حُقوقُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

تَمَّ الصَّفِّ وَالإِخْرَاجَ

بِمَرْكَزِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّاجِحِيِّ

لِلإِسْتِشَارَاتِ وَالذَّرَاسَاتِ الرَّبَوِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِيَّةِ



+966 555448475
+966 535600668
0114455995 / Fax: Ext. 108
info@mnaratt.com

المملكة العربية السعودية

الرياض - حي الربوة - مخرج ١٥

شارع ثنيان بن مقرن مبنى رقم ١٢

ص.ب ٦٠٥٥٨

الرمز البريدي ١١٥٥٥

<http://shrajhi.com.sa/>

@AISheikhAlRajhi

@shrajhi

abdulaziz-alrajhi

مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٧٩)

وجوب التوكُّل وخطر التطيُّر

تأليف

عبدالعزیز بن عبدالله الراجحي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، **أما بعد:**

فإن المتوكل على الله ينال كفاية الله، يكفيه الله
ما أهمه، يقول الله تعالى في كتابه في المؤمنين :
﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٢٣] المائدة:
[٢٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ
حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال ﷺ في وصف المؤمنين
حقاً: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٣]، وقال ﷺ في وصف

المؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في أول سورة الأنفال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤] ،
 وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُومٌ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ [يونس: ٨٤-٨٦] ، وقال سبحانه: ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣] .

التوكل على الله هو: الاعتماد على الله في جميع الأمور مع فعل الأسباب، وتفويض الأمور إلى الله ﷻ ، فالتوكل يجمع أمرين: فعل الأسباب، ثم تفويض الأمر إلى الله في حصول

النتيجة، خلافاً للصوفية الذين يتركون الأسباب ولا يفعلونها.

والتوكّل فريضة من فرائض الإيمان، فمن لا يتوكّل على الله فليس عنده إيمان؛ لأن الله تعالى اشترط التوكّل في الإيمان فقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] يعني: إن كنتم مؤمنين فتوكّلوا على الله، فمن لم يتوكّل على الله فليس بمؤمن، فالتوكّل شرط في صحة الإيمان، لا يصحّ الإيمان إلا به، فمن لم يتوكّل على الله، ولم يعتمد عليه، ولم يفوض أمره في حصول النتائج، واعتمد على الأسباب فقط فهو من المشركين.



الأخذ بالأسباب لا يعني الاعتماد عليها

بعض الطوائف يعتمدون على الأسباب ويركنون إليها، كالمعتزلة الذين يقولون: إنّ العبد هو الخالق لأفعاله، وأنّ العبد يستحق الثواب على الله، كما يستحق الأجير أجره، وهذا باطل؛ لأن الإنسان يستحقّ يدخل الجنة برحمة الله وفضله، وأمّا الأعمال فهي سبب، كما قال النبي ﷺ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ». قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا»^(١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب «تمني المريض الموت»،

رقم (٥٦٧٣)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم

(٢٨١٦).

وكذلك اعتماد الطبائعيين الذين يقولون بالتفاعل بين الماعين، وأنّ الولد يحصل بالتفاعل بين الماعين من دون خلق الله وإيجاده.

فمن اعتمد على الأسباب وحدها فهو مشرك.





حكم إنكار الأسباب

ترك الأسباب فيه تفصيل ؛ لأن الأعمال كلّها أسباب، فإذا ترك التوحيد والإيمان فهذه ردّة عن الإسلام.

وإذا كان مؤمناً موحّداً ثم ترك شيئاً من الأعمال؛ ففعل كبيرة من ترك واجب أو فعل محرّم؛ فإنه يكون عاصياً مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب، وإن ترك بعض المستحبات، فإنه فوّت على نفسه فضيلة من الفضائل.

فتبيّن بهذا أنّ التوكّل يجمع أمرين:

١. أن يفعل الإنسان الأسباب التي شرعها الله، وأعظم الأسباب لدخول الجنة هو التوحيد

والإيمان، ثم يؤدي الواجبات، ويترك المحرّمات، كما أنه يفعل الأسباب التي شرعها الله من البيع والشراء، والأكل والشرب، وإعداد العُدّة للأعداء، وتجنب أسباب الخطر والهلاك، فلا بد من فعل الأسباب.

٢. ثم بعد ذلك يعتمد على الله، ويفوّض أمره إليه في حصول النتيجة.



التوكّل على الله فعل الخليلين ﷺ

الاعتماد على الله والتوكّل عليه هو فعل الخليلين محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام كما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ^(١)؛ فإبراهيم عليه السلام لما ألقاه النمرود في النار، اعتمد على الله، وتوكّل عليه فقال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فكفاه الله، وجاء الفرج أسرع من طرفة عين، أسرع من وصوله إلى النار، وهو يهوي في الجو إلى النار فجاءت الكفاية من الله قبل أن يصل إلى النار، قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. فلما وصل إلى النار صارت بردًا؛ لأن الله تعالى كفاه ووقاه

(١) أخرجه البخاري، برقم (٤٥٦٣).

في الحال، ومن كان الله كافيه فلا مطمع لأحدٍ فيه، قال العلماء إنّما قال: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ لأنه لو لم يكفه الله لأحرقته النار، ولو كانت بردا لمات من شدّة البرد، فلمّا قال الله: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ صار جوُّ النار معتدلاً، فصارت برداً وسلاماً.

وأما ما جاء أنّ جبريل عرض له في الهواء فقال: «ألك حاجة؟ فقال: أمّا لك فلا وأمّا إلى الله فبلى» فهذا ليس له سند ثابت^(١)، وأيضا من ذلك الذي لم يثبت ما نبه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله حيث قال: «وما يروى أن الخليل لما ألقى في المنجنيق قال له جبريل: سل، قال:

(١) جاء في ذلك أثر معتمر بن سليمان عن بعض أصحابه، أخرجه ابن جرير في تفسيره جامع البيان (٤٥/١٧)، فهو من مرسل معتمر ومظنته مرويات بني إسرائيل، وقد أشار لضعفها البغوي في تفسيره معالم التنزيل (٣٢٧/٥) وابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٨٨) والبيضاوي في أنوار التنزيل (٤/ ٥٥).

«حسبي من سؤالي علمه بحالي» ليس له إسناد معروف وهو باطل»^(١).

وقالها نبينا محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَبَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. بعد غزوة أحد لما حصل جراحات على المسلمين، جاءه من جاء وقال: إن قريشاً قد جمعت جموعها، وتريد أن تغزو المسلمين، وتستأصل البقية الباقية من المسلمين، فقال النبي ﷺ: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. وذهبوا إلى حمراء الأسد وتجمّعوا، فعلمت قريش بذلك وقالوا: إنهم ما تجمّعوا إلا وعندهم قوة^(٢)، فقذف الله

(١) مجموع الفتاوى (١٨٣/١).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١٠١/٢) وتفسير الطبري (٣٩٩/٧)، (٤٠٠)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (٢٠٣٧٤/٧)، فقذف الله الرعب في قلوبهم، وكفى الله المؤمنين شرهم، وجاء الفرج بقول: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

الرعب في قلوبهم، وكفى الله المؤمنين شرهم،
وجاء الفرج بقول: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

﴿١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣].





مما ينافي التوكُّل : التطيُّر

إن مما ينافي كمال التوكُّل الواجب على الله سبحانه: التطير والتشاؤم، فالتطير والتشاؤم ينافي كمال التوحيد الواجب، وقد جاء في حديث ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: في صفة السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١)، فلا يفعلون الطيرة لأنها من عمل الجاهلية؛ ولأنها منافية للتوكُّل على الله، فهم يعتمدون على الله بقلوبهم، ويفوضون أمورهم إليه في حصول النتائج مع فعل

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٥٢)، ومسلم برقم (٢٢٠).

الأسباب، فهؤلاء السبعون ألفاً يتركون ما هو خلاف الأولى كالرقية، ويتركون الأسباب المكروهة كالكي، ويتركون الأسباب المحرمة كالطَّيْرَةَ، وختام ذلك أنهم يتوكلون على الله؛ إذ يعتمدون عليه، ويفوضون أمورهم إليه في حصول ما يطلبون.





معنى التطيُّر

الطَيْرَة: هي الشاؤم، اسم مصدر، تَطَيَّرَ يَتَطَيَّرُ تطيُّراً، وذلك أن العرب يتطيرون بالسوانح والبوارح.

قال المدائني: قلت لرؤية بن العجاج: ما السانح؟ قال: ما ولّاك ميامنه. قلت: ما البارح؟ قال: ما ولّاك مياسره. يعني: من الطيور، والذي يأتي من أمامك هو الناطح والنطيح، والذي يأتي من خلفك هو القاعد والقعيد^(١).

فكانوا في الجاهلية إذا أراد أحدهم سفراً أو تجارة زجر الطير فإذا ذهب الطير جهة اليمين

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٣/١٤٦٩).

تيا من وذهب لحاجته، وإذا ذهب جهة الشمال
تشاءم وأحجم عن حاجته، ومن لم يعرف زجر
الطير فإنه يذهب إلى من يعرفه، فهناك بعض
القبائل المختصة بمعرفة زجر الطير كقبيلة بني
لهب، ولهذا يقول الشاعر الجاهلي ^(١):

خير بنو لهب فلا تك ملغيا

مقالة لهبي إذا الطير مرت

ومعنى البيت: بنو لهب عندهم خبرة بالطيرة
إذا أتيت إليهم وزجروا لك الطير فلا تلغ مقالتهم
لأنهم أصحاب خبرة.



(١) البيت لرجل من الطائيين. كما في شرح الكافية الشافية، لابن مالك



بم يكون التطيُّر؟

إن التشاؤم والتطيُّر يكون بالأشخاص أو
الأمكنة أو بالأزمنة أو بالمرئيات أو
بالمسموعات، والتشاؤم والتطيُّر من أخلاق
المشركين.





حكم الطيرة

الطيرة من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد الواجب؛ لكونها من إلقاء الشيطان ووسوسته وتخويفه، فالتطير من عمل أهل الجاهلية والمشركين، وقد ذمهم الله به ومقتهم.





حذر الطيرة

حد الطيرة المنهي عنها: ما يحمل الإنسان على المُضيِّ فيما أَراده أو يمنعه من المضي فيه؛ لما ثبت في حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما عند الإمام أحمد: «إِنَّمَا الطَّيْرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»^(١)، والحديث وإن كان منقطعاً إلا أن له شواهد من أدلة أخرى تبين أن الطيرة هي التي تمنع الإنسان عن الإقدام على الحاجة، أو تجعله يقدم بسبب الطيرة.

● قوله: «مَا أَمْضَاكَ»: يجعلك تمضي في حاجةٍ أنت لا تريد المضي فيها كالسفر.

(١) أخرجه أحمد (١٨٢٣).

• قوله: «أَوْ رَدَّكَ»: ردّك عن حاجتك التي كنت تريد المضي فيها كالعدول عن السفر. فما حملك على المُضي وأنت لا تريد المُضي، أو ردّك عن المُضي وأنت تريده، هذه هي الطيرة المنهي عنها.





تاريخ التطيُّر

١- قال الله تعالى عن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَّصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣١) [الأعراف: ١٣٠-١٣١] المعنى: أن آل فرعون إذا أصابتهم الحسنة وهي الخصب والسعة والعافية - كما فسره مجاهد -، قالوا لنا هذه أي: نحن الجديرون الحقيقيون به، ونحن أهلها، وإن تصبهم سيئة أي - بلاء وضيق وقحط - يطيِّروا بموسى ومن معه، فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابه، أصابنا بشؤمهم، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ

عِنْدَ اللَّهِ ﴿ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : طَائِرُهُمْ مَا قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَقُدِّرَ لَهُمْ ، أَي : إِنَّمَا جَاءَهُمُ الشُّؤْمُ مِنْ قِبَلِهِ بِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ ، ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ [الأعراف : ١٣١] أَي : أَنَّ أَكْثَرَهُمْ جُهَالٌ لَا يَدْرُونَ ، وَلَوْ فَهَمُوا وَعَقَلُوا لَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ فِيمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى ﷺ إِلَّا الْخَيْرُ وَالْبُرْكَهٗ وَالسَّعَادَةُ وَالْفَلَاحُ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ يَقْتَضِي الطَّيْرَةَ .

٢- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا

عَدَابُ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَٰغَرَكُم مَّعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ [يس: ١٣-١٩] المعنى - والله أعلم - حظكم وما نالكم من شر معكم بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا، بل ببغيكم وعداوتكم، فطائر الباغي الظالم معه، فما وقع به من الشر فهو بسببه الجالب له، وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله، وقوله: ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ أي: من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ﴿١٩﴾ مجاوزون الحد، فقابلتم الحق بالباطل، وقد نهى رسول الله ﷺ عن التطير وأخبر أنه شرك.

٣- لما أمر نبي الله صالح ﷺ قومه بالتوبة والاستغفار فقال: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦] فإن ذلك من أسباب

الرحمة، ومن أسباب رَفْع العذاب؛ فلا يُعَذَّب قوم يتوبون، فكان رَدِّهم عليه رَدًّا سيِّئًا: ﴿قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَيَمَنُ مَعَكَ﴾ [النمل: ٤٧]: تشاء منا بك وبمَن معك، أنت مشئوم، ومَن معك كلهم شئوم، ولا يصيبنا بلاء ولا شر إلا بسبب شؤمك يا صالح وشؤم مَن اتَّبَعك.. هكذا قالوا !!

﴿قَالَ طَطَّيَّرْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٤٧] يعني: حظكم وما نالكم من شر بسبب معاصيكم وذنوبكم، ومخالفتكم لنبيِّكم، لا بسببنا، لا بسبب الناصحين، الشؤم والعذاب إنما جاء بسبب المعاصي ومخالفة الناصحين، لا بالرسول والصالحين، هؤلاء ليس فيهم شؤم، بل الخير يأتي بسببهم، وإنما الشؤم والعذاب أصابكم بسبب معاصيكم وذنوبكم ومخالفتكم الناصحين، ليس بسبب صالح عليه السلام وأتباعه.

ولهذا قال صالح عليه السلام: ﴿قَالَ طَطِّرِكُمْ﴾ معكم، يعني شركم وما لكم من شر، حظكم وما نالكم من شر معكم بسبب ذنوبكم وأفعالكم ومخالفتكم الناصحين، ليس بسببنا.

﴿قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَيَمَنُ مَعَكَ﴾ قَالَ طَطِّرِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ط بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ [النمل: ٤٧] يعني: بسبب أن ذكرناكم ووعظناكم، وأمرناكم بالخير ونهيناكم عن الشر تتشائمون بنا؟!!

فالتطير من أعمال أهل الجاهلية، ومن أعمال المشركين، وقد ذمّه الله تعالى، ونهى عنه، وحذّر منه؛ لأنه ينافي كمال التوحيد الواجب.





فصل في نفي أَسْبَابِ مِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
 «لَا عَدُوِّي وَلَا طِيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفْرًا»
 أخرجاه، ^(١) زاد مسلم في رواية: «وَلَا غَوْلًا» ^(٢)
 وفي أخرى له: «وَلَا نَوْءًا» ^(٣).



(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٥٣) ومسلم برقم (٢٢٢٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٢٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٢٢٠).



نفى العروى

العدوى: اسمٌ مِنَ الإِغْدَاءِ، كالرَّعْوَى
والبَقْوَى، مِنَ الإِرْعَاءِ والإِبْقَاءِ. يُقَالُ: أَعْدَاهُ الدَّاءُ
يُعْدِيهِ إِغْدَاءً، إِذَا انْتَقَلَ المَرَضُ، وَمَعْنَى الحَدِيثِ:
«لَا عَدْوَى» وَأَصَحُّ مَا قِيلَ فِيهَا: أَنَّ المَرَادَ: لَا
عَدْوَى عَلَى الوَجْهِ الَّذِي يَعتَقِدُهُ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ مِنْ
إِضَافَةِ الأَفْعَالِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، وَأَنَّ العَدْوَى
والمَرَضُ يَنْتَقِلُ بِطَبْعِهِ وَذَاتِهِ لَا بِتَقْدِيرِ مِنَ اللَّهِ، فَإِنَّ
هَذَا الِاعتِقَادَ الجَاهِلِيَّ مَنفِي فِي الحَدِيثِ.

فَأَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَعتَقِدُونَ أَنَّ المَرَضَ يَنْتَقِلُ
بِنَفْسِهِ، وَيَعْدِي بِنَفْسِهِ لَا بِتَقْدِيرِ مِنَ اللَّهِ، فَنَفَى
النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ فَقَالَ: «لَا عَدْوَى» أَي: عَلَى

الوجه الذي يعتقدُه أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله، وأن العدوى تنتقل بنفسها، وإلا فقد يجعل الله مخالطة الصحيح لمن به مرض سبباً في انتقال العدوى، والله تعالى ربط الأسباب بمسبباتها؛ ولهذا جاء في الأحاديث الأخرى النهي عن التعرُّض لأسباب العدوى، ولهذا قال النبي ﷺ: «فِرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ»^(١) وقال ﷺ: «لا يورد ممرض على مُصِحِّ»^(٢) وقال ﷺ في الطاعون: «إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه»^(٣) وكل ذلك بتقدير الله تعالى، وهذا كله من فعل الأسباب، والعبء مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية، فكما أنه يؤمر أن لا يلقي نفسه في الماء وفي النار مما

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٠٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٧٧١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٧٣٠) ومسلم، برقم (٢٢١٩).

جرت العادة أنه يهلك أو يضر، فكذاك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم، والقدوم على بلد الطاعون، فإن هذه كلها أسبابٌ للمرض والتلف، فالله سبحانه خالقُ الأسبابِ ومسبباتها، لا خالقٌ غيره ولا مقدرٌ غيره.

القول الثاني - في الجمع بين الأحاديث - :
 أن حديث « لا عَدْوِي » محمولٌ على من قَوِيَ إيمانه وصحَّ توكله، أما حديث: « فرَّ من المجذوم » وحديث: « لا يورد ممرضٌ على مُصِحِّ » محمول على ضعيف الإيمان. وقالوا: إن النبي ﷺ لَمَّا قَوِيَ إيمانه، وصحَّ توكله؛ أخذ بيد مجذوم وأجلسه على الصَّحْفَةِ وأكل معه، وقال: « كُلْ بِسْمِ اللَّهِ ». ثقةً بالله، وتوكلاً عليه ^(١).

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٩٢٥)، والترمذي برقم (١٨١٧) واللفظ

له، وابن ماجه برقم (٣٥٤٢).

والقول الأول هو الأرجح، وهو المعتمد، وهو قول البيهقي وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم، وحديث أكل النبي ﷺ مع المجذوم ضعيف^(١)، والمجذوم لا يخالط الناس، والأصل في هذا أن النبي ﷺ قال لرجل به جذام جاء عام الوفود في وفد ثقيف: «إنا قد بايعناك فارجع»^(٢).



(١) قال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (٢/٦٨١): "مفضل بن فضالة قال ابن عدي: ولم أر له حديثاً أنكر من هذا، وقال ابن معين ليس بذاك" انظر: الكامل في الضعفاء (٨/١٥١). وقال ابن الجوزي في ناسخ الحديث ومنسوخه (٤٤٥): «لا يثبت». قال الذهبي في تلخيص العلل المتناهية (٣٢٣): «مفضل بن فضالة البصري ضعيف وروي نحوه بسند فيه واهيان».

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣١).



نفي الطَّيْرَةِ

• قوله: «وَلَا طَيْرَةَ» كانوا في الجاهلية يتشاءمون بالطيور ويزجرونها، فنفاها النبي ﷺ، قال: «لا طيرة» أي: لا تشاؤم بطيرٍ ولا بغيره، نفي أو نهْي، والنفي أبلغ من النهي، يعني: لا تطيِّر ولا تشاؤم بمرئياتٍ أو مسموعاتٍ، لا بالطيور ولا بغيرها. قال ابن القيم رحمته الله: «لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي إنما يدل على المنع منه»^(١)، ولكن قوله في الحديث: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ» يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٣/١٤٨٤).

الأمر التي كانت الجاهلية تعانيها.

وأما حديث: «الشُّؤْمُ فِي الْمَرْأَةِ، وَالذَّارِ، وَالْفَرَسِ»^(١) فليس في هذا الحديث إثبات الطيرة التي نفاها الله سبحانه، ولكن معنى الحديث أن الله قد يخلق أعياناً مشؤومة على من قاربها وساكنها، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها شؤم ولا شر، كما يعطي سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يريان الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولداً مشؤوماً يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه من ولاية، وكل ذلك بقضائه وقدره.

فالله تعالى قد يجعل في بعض الأعيان شؤماً ونحساً فيبدلها بغيرها:

فقد تكون الدار مثلاً فيها شؤم، كأن يصاب

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٩٣)، ومسلم برقم (٢٢٢٥).

بأمراض أو تكون ضيقة المسالك والغرف، أو تكون سيئة الجيران فينتقل عن هذه الدار إلى غيرها، جاء عن بعضهم أنه قال: جئنا إلى هذه الدار فمات أولادنا قال: «ذروها ذميمة»^(١).

وكذلك الشؤم في الدابة وهي الفرس كأن تكون مثلاً بطيئة السير، أو تلقي صاحبها فتطرحه على الأرض، والسيارة الآن تقوم مقام الدابة فقد تكون السيارة متعبة له، كأن يحصل له صدام كثير، أو يحصل له خلل دائم يخسر عليه خسارة كثيرة، فيبدلها بغيرها.

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٩٢٤) قال البخاري في الأدب المفرد (ص ٤٩٧)، «في إسناده نظر». وقال ابن عبد البر في: «التمهيد (٦٨ / ٢٤): «وهذا محفوظ من وجوه» وأورده ابن دقيق العيد في أحاديث احتج مسلم برجالها في الصحيح ولم يحتج بهم البخاري. الاقتراح (ص: ١١٥).

وكذلك المرأة قد تكون سيئة الخلق، أو عقيمة لا تلد، أو سليطة اللسان ولها أخلاق أخرى سيئة فيبدلها بغيرها فهذه الثلاث مستثناة، وليس معنى ذلك أن الإنسان يتشائم؛ لكن الله تعالى قد يجعل في بعض الأعيان نحسًا وشؤمًا.

والتطير والتشاؤم بمعنى واحد فنفي أولاً بطريق العموم قال: «لا طيرة» كما نفى العدوى فقال: «لا عدوى» ثم قال: «الشؤم في ثلاث» وليس المراد كل هذه الثلاث فقد يوجد فيها نحس فإذا وجد ذلك فإنه يبدله بغيره.



نفى الهامة

● قوله: «وَلَا هَامَةٌ»: الهامة طير من طير الليل يسمى: (البومة) كانوا يتشاءمون بها ويعتقدون أن البومة إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نعت إليّ نفسي أو أحداً من أهل بيتي، سيموت هو أو أحد من أهل بيته، فنفى النبي ﷺ هذا الاعتقاد، قَالَ عِكْرِمَةُ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ وَعِنْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَمَرَّ غُرَابٌ يَصِيحُ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: خَيْرٌ خَيْرٌ! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا خَيْرَ وَلَا شَرَّ (١). أنكر عليه، وبين أن الطير لا خير عنده ولا شر. فالهامة ليس لها من الأمر شيء، لا تعلم شيئاً،

(١) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» رقم (٩٣٧).

لكن كانوا يعقدون هذا في الجاهلية، فنفاه
النبي ﷺ.





نفي صفر

• قوله: «ولا صفر» قيل: الصَّفَرُ حِيَّةٌ فِي البطن، كانت العرب تعتقد أنها تعدي، وأنها أعدى من الجرب، فنفاها النبي ﷺ فقال: «لا صفر».

وقيل: المراد بصفر أن أهل الجاهلية كانوا يُنسئون صفرًا، ويجعلونه مكان المحرّم، ويؤخّرون المحرّم، ويجعلونه مكان صفر.

وقيل: المراد بصفر التشاؤم بشهر صفر، فنفاها النبي ﷺ بقوله: «لا صفر».

ولعل القول الأخير أقرب الأقوال.

والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي

عنها، فهو من التطير بالأوقات، وكذلك التشاؤم
بيوم من الأيام كيوم الأربعاء، وكذلك تشاؤم أهل
الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة.





نفي النوء

• قوله: «ولا نوء»: نفي الاعتقاد أهل الجاهلية، وهو نسبة المطر إلى النوء - وهو سقوط النجم -، والنوء جمعه أنواء وهي منازل القمر وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منزلة منها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر وينسبونه إليها، ويقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وإنما سُمي نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق للطلوع، فهو ينوء

نوءًا، وذلك النهوض هو النوء، فسمي النجم به، وكذلك كل ناهضٍ بثقلٍ وإبطاءٍ، فإنه ينوء عند نهوضه، وقد يكون النوء السقوط، قال أبو عبيد: ولم أسمع أن النوء السقوط إلا في هذا الموضع ^(١).



(١) غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام (٣/٣٢١).



نفي لأغول

● قوله: «ولا عُول»: واحد الغيلان، وهو جنس من الجنِّ والشياطين، تزعم العرب أنها في الفلاة تتراى للناس أي: تتلوّن للناس في الفلوات وفي الصحاري في صور شتى وتغولهم - أي: تضلّهم عن الطريق وتهلكهم - فنفاه النبي ﷺ وأبطله.



ما يشرع عند رؤية مكروه

إذا رأى الإنسان ما يكره: فإنه يستحب له أن يقول: «اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» لما ورد عند أبي داود بسند صحيح في حديث عروة بن عامر رضي عنه قَالَ: ذُكِرَتِ الطَّيْرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأُلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلْ: « فذكره ^(١).



(١) أخرجه أبو داود، كتاب الطب، باب «في الطيرة»، رقم (٣٩١٩). قال النووي: «رواه أبو داود باسناد صحيح». شرح النووي على «صحيح مسلم» (٢٢٤/١٤).

كُفَّارَةُ الطَّيْرِ

كفارة من ردته الطيرة عن حاجته أن يقول:
«اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك، ولا
إله غيرك»؛ لما ثبت في مسند الإمام أحمد^(١) مِنْ
حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ،
فَقَدْ أَشْرَكَ»، قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ
يَقُولَ اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا
طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ».



(١) أخرجه أحمد (٢/٢٢٠). قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني،
وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن وفيه ضعف، وبقيته رجاله ثقات».
«مجمع الزوائد» (٥/١٠٥).

المستثنى من الطيرة

يستثنى من الطيرة: الفأل وهو الكلمة الطيبة يسمعها الإنسان فيسرّ بها ويؤمل خيراً؛ كما ثبت في الصحيحين من حديث أنس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ». قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»^(١). وإنما كان النبي ﷺ يعجبه الفأل، لأن الطيرة تُستعمل فيما يسوء، والفأل فيما يسر، ففي الطيرة سوء ظن بالله تعالى من غير سبب محقق، وفي الفأل حسن ظن بالله، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٧٧٦)، ومسلم، برقم (٢٢٢٤).

ومثال الفأل: أن يسمع رجل مريض رجلاً آخر يقول: يا سالم، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه، أو يسمع رجل فقد ضالته رجلاً آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يجد ضالته.



الفأل

الفأل الذي يحبه النبي ﷺ فيه نوع بشارة فيسر به العبد ولا يعتمد عليه، بخلاف ما يمضيه أو يرده فإن للقلب عليه نوع اعتماد، فهذا هو الفرق.

وجاء في حديث ابن مسعودٍ مرفوعاً: «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلَّا. وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ». رواه أبو داود، والترمذيُّ وصحَّحه^(١)، وجعل آخره من قول ابن مسعودٍ^(٢) وذلك أن

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٣٩١٠)، والترمذي، برقم (١٦١٤)، وابن ماجه، برقم (٣٥٣٨)، وأحمد (٣٨٩/١). وقال الترمذي: «وهذا حديث حسن صحيح».

(٢) قال الترمذي: «قال محمد: وكان سليمان بن حرب ينكر هذا الحديث أن يكون عن النبي ﷺ لهذا الحرف «وما منا»، =

الطيرة هي التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع، فإذا رده شيء من ذلك عن حاجته فقد دخل في الشرك؛ لما فيها من تعلق القلب على غير الله.

فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكل على الله: قطع هاجس الطيرة قبل استقرارها، وبادر خواطرها قبل استمكانها.



= وكان يقول: «هذا كأنه عن عبد الله بن مسعود قوله». «علل الترمذي» رقم (٤٨٥).

وقال ابن حجر: «وقوله: «وما منا إلا» من كلام ابن مسعود أدرج في الخبر، وقد بينه سليمان بن حرب شيخ البخاري فيما حكاه الترمذي عن البخاري عنه». «فتح الباري» (١٠/٢١٣).

قال المنذري: «والصواب ما ذكره البخاري وغيره أن قوله: «وما منا» إلى آخره من كلام ابن مسعود مدرج غير مرفوع». «الترغيب والترهيب» (٣٣/٤).



رزقنا الله تعالى التوكل عليه والاعتماد
 والتفويض في أمورنا عليه، وأعاذنا من وساوس
 الشيطان وإلقاءه وتخويفه، ورزقنا الله حبه والإنابة
 إليه والثبات على دين الإسلام والوفاء عليه.

إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم
 على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه
 وأتباعه بإحسان.

كتبه

عبدالعزیز بن عبدالله الراجحي

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة:
٨	الأخذ بالأسباب لا يعني الاعتماد عليها:
١٠	حكم إنكار الأسباب:
٢١	التوكل على الله فعل الخليلين <small>عليه السلام</small> :
١٦	مما ينافي التوكل: التطير:
١٨	معنى التطير:
٢٠	بم يكون التطير؟:
٢١	حكم الطيرة:
٢٢	حدُّ الطيرة:
٢٤	تاريخ التطير:
٢٩	فصل في نفي أشياء من أمور الجاهلية:
٣٠	نفي العدوى:
٣٤	نفي الطيرة:

رقم الصفحة

الموضوع

٣٨	نفى الهامة:
٤٠	نفى صفر:
٤٢	نفى النَّوء:
٤٤	نفى الغول:
٤٥	ما يشرع عند رؤية مكروه:
٤٦	كفارة الطَّيرة:
٤٧	المستثنى من الطَّيرة:
٤٩	الفأل:
٥١	الخاتمة:
٥٣	فهرس الموضوعات:

إن مما ينافي كمال التوكل الواجب
على الله سبحانه: التطير والتشاؤم،
فالتطير والتشاؤم ينافي كمال
التوحيد الواجب، وقد جاء في حديث
ابن عباس رضي الله عنهما: في صفة السبعين ألفاً
الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا
عذاب أن النبي ﷺ قال: ((هم الذين لا
يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون،
وعلى ربهم يتوكلون))، فلا يفعلون
الطيرة لأنها من عمل الجاهلية؛ ولأنها
منافية للتوكل على الله.